سيّدات الموقف! ولكنْ خارج الباب الذي لا يتعدى ٢٠ سنتمترًا، يعودون إلى عالم المحترمين، ونحن نصبح لا شيء. صحّ؟

ـ ولكنْ لماذا لا تنتقلين إلى مدينةٍ لا تعرفك وتبدإين حياةً جديدةً؟

ـ إنْ هربتُ من الناس فكيف أهرب من نفسي؟ خياراتي معدومة يا عزيزتي.

فكّرتُ في الخيارات التي يمكن أن أقترحها عليها، فلم يسعفني عقلي ولا الأفكارُ التي تتصارع في رأسي. وبصوتٍ عالٍ وواثقٍ قلت لها:

ـ طعم الشوكولاتة لذيذ. هل لديك قطعة أخرى؟

ضحكتْ بفرح واضح وسألت:

ـ هل تنظّمينني معكم؟!

فُتح البابُ وحضرتْ روزيت لتأخذني إلى التحقيق. بعد عودتي لم أجد سميرة، بل كمية كبيرة من ألواح الشكولاتة تركتْها لي بالتعاون مع روزيت. ذهبتْ سميرة إلى سجن الرملة، قسم الجنائيات، قبل أن تسمع جوابي.

من رتابة الأسئلة وتكرار الحوارات، بدا لي أنّ هذه هي آخرُ جولات التحقيق. حاول أحدُ المحققين التذاكي، فطلب منّي أن أكتب أيّ شيء. وأشار إلى أنّهم لن يخرجوني إلاّ إذا كتبتُ شيئًا، أيّ شيء. شعرتُ أنّها النهاية، خاصةً وأنّ القاضي رَفَضَ تمديد الاعتقال للمرة الرابعة إلاّ بعد الحصول على معلومات جديدة.

في تلك الليلة الأخيرة، حلمتُ أنّ والدي المتوفّى حضر إلى السجن وأخذني وسار معي في شوارع رام الله وهي مغطّاةٌ بالثلوج.

أفقتُ من الحلم على صوت روزيت:

ـ صباح الخير

فتحت البابَ. وقفتْ أمامي وابتسامةٌ عريضةٌ على وجهها. سألتُها: «حوكير؟» ضمتني بقوة وقالت: «احترمك جدًا. وسأكره اليوم الذي أراكِ فيه مرةً ثانيةً هنا. مع السلامة.»

❖ ❖ ❖

لم أشاهد روزيت منذ ذلك التاريخ.

ليلى تزوجتْ بمن كتمتْ سرّه في التحقيق، وتربطنا اليومَ صداقةٌ عميقة.

إيمان تعيش في نابلس، وهي التي حسمتْ موقفي من السوداوات والسود. زوجُها استُشهد في البلدة القديمة.

ندى أنهت تعليمَها الجامعي بعد خروجها من السجن

حُكِم على سعدة بالسجن اثنيْ عشر عامًا. تتبّعتُ أخبارها، وهي مستعدة الآن لعمل فيلم وثائقي عن تجربتها.

وأنا تزوجتُ بمَنْ كَتَمتُ سرّه، وتجربتُنا أثمرتْ ابنةً رائعة.

أعيش على انتصاراتي الصغيرة.. على أملِ أن أعيش الانتصارَ الكبير.

رام الله

إبراهيم عبد المجيد روائي مصري ـ صدر له أكثر من عشر روايات ومجموعتان قصصيتان. تُرجم العديد من رواياته إلى الفرنسية والألمانية والإنكليزية. حاز جائزة نجيب محفوظ عام ١٩٩٦ عن روايته البلدة الأخرى. كما فازت روايته لا أحد ينام في الاسكندرية بجائزة أفضل رواية في معرض القاهرة الدوليّ للكتاب عام ١٩٩٦.